النشاط الثقافي في الغرب

المانيا

وفاة توماس مان

توفي في زوريخ الكاتب الالماني الشهير توماس مان في اواخر الشهر الماضي ، بعد شهرين من الاحتفال بذكرى بلوغه الثمانين . وبغياب مان ، تفقد الرواية المعاصرة علماً من كبار اعلامها الذين كان لهم تأثير كبير في تطور هذا اللون الطاغي من الادب الحديث .

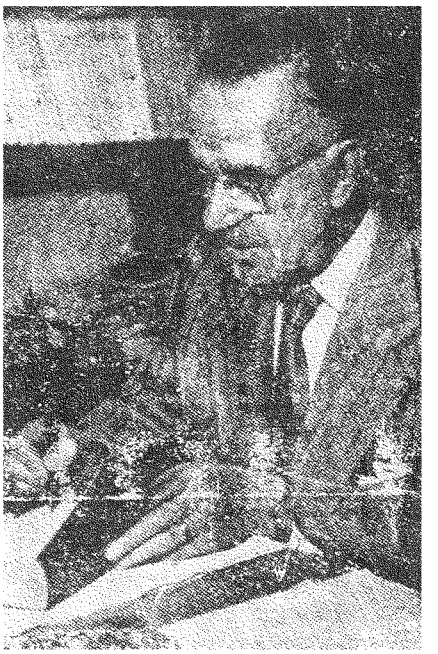

توماس مان

ويجسم مان في رواياته « القلق المعاصر » ويكسبه حياة وشكلا وصوتاً ، في إطار كثيف ومتحفظ في وقت واحد . وهو في ذلك لا يصور الوان الصراع النفسي والاجتماعي التي تمزق العالم ، وانما يعود الى منابع هذا التمزق والى اسبابه الخفية ، تلك التي تكمن في ما يحسه الفرد من عدم رضى ومن مشقة في الانسجام بمجموعة بشرية ليس مكانه فيها محدداً تحديداً كافياً .

ويقول مارسيل بريون M. Brion في مقال نشرته له مجلة « لينوفيل ليتريير » الفرنسية (العدد ١٤٥٩) إن الناس يأخذون على مان انه لم يواجه القضايا السياسية بما واجهه به اخوه هنريك مان من صراحة واهتمام ، كما يأخذون عليه انه ظل مؤرخ المجتمع الوهلهي في رواياته الاولى ، وانه جعل موضع سائر رواياته في «لا زمن» فبدت مقطوعة عن الحياة الحاضرة . ويجيب بريون على هذه المآخذ بقوله : « واحسب ان توماس مان انما استطاع ، بفضل هذه « اللازمنية » ان يمضي في تحليل القلق الحديث أعمق من أي كاتب من الكتاب الآخرين الذين ظلوا عبيداً لتاريخية الحادثة . وفي آثار مان تتجلى فلسفة للتاريخ اكثر مما يتجلى التاريخ ، لان شكل الاحداث ليس شيئاً اذا لم تأت روح الاحداث فتنظم فيها العناصر الحية ، الموحية . وعلى ذلك ، فمن الظلم عدم الاعتراف بان هذا الكاتب لم يعط في آثاره صورة دقيقة مؤلمة عن زمنه ومظاهره الفعالة » .

« لقد اسقط توماس مان ما هو عارض وما هو حكائي ، او انه لم يحتفظ به الا على سبيل الرمز — فواجه مأساة الانسانية دون ان يهتم بوضعها في الزمن الحاضر . بل هو على العكس قد ساءل ضمير الكائنات البشرية حتى جعلها تعترف بما تخبئه من خاص وعام في وقت واحد . ففي رواياته وقصصه ، تبدو الدراما دائماً دراما الفرد ، ولكن الفرد نفسه ينطوي على ان الانسانية برمتها ، لا على هذا الجزء من الانسانية الذي يتحدد بحدود « هويته » . وحبكة هذه الدراما ، سواء في « الموت في فينيسيا » او « الجبل المسحور » او « تريستان » تجمع الوان القلق الرئيسية لكل المستقبل الانساني ، ومن اجل هذا كانت قضية الموت هي اساس آثاره كلها ، من اية زاوية واجهها ، وبأي رمز أسنده اليها . »

ثم يتحدث بريون عن روح السخرية لدى توماس مان ، فيقول انها وسيلة للمعرفة ورد فعل دفاعي . فهي كرجع للوعي تنشط الرغبة في امتلاك الواقع لانها تخلق وجهات جديدة ، ومنظورات غير منتظرة ، وهذا ما يتضح في آخر روايات مان ولا سيما « المختار » و « سراب » .

وقد حظيت آثار مان ، بسبب ان المأساة الانسانية حاضرة فيها دائماً ، برضى جميع طبقات القراء في جميع البلدان . وبفضل غنى المادة فيها واكتمال الفن ، حازت على هذه العالمية التي لم يستطع ان يبلغها كبار الكتاب الالمان المعاصرين امثال هرمان هس وهرمان بروخ وروبرت موزيل . ولا ريب ان من اسباب هذا النجاح بين الجمهور ان هذه الآثار تجيب على الوان القلق النفسي والخلقي ، وهي تمتاز جميعاً بوحدة كاملة وانسجام تام ، على الرغم من غنى مظاهرها وتنوّع موضوعاتها : « الدكتور فوستوس » — « اسرة بودا نبروك » — « ماريو والساحر » — « توينو غروجر » — « فليكس كرول » الخ ... كل هذه المؤلفات تكشف عن اهمية رسالة مان وتذكرنا بقول غوته « تذكر ان تعيش » .

« ولئن كانت جميع روايات مان واقاصيصه تدور على فكرة الموت ، ولئن كان الموت عنده مزروعاً في كل فرحة من افراحنا ، وفي كل تنفس ، واذا كان كل ما اعطيناه يكشف ، بفضل مرارة فلسفته ، عن موضع لصبع الموت في كل مكان ، فهو بذلك يشبه اعظم العظماء الذين لا تنفك عن اذهانهم فكرة النهاية المحتومة . »

« اولاد الموتى »

يجمع النقاد الالمان والاجانب على ان هنريك بول Heinrich Böll هو من اكبر الكتاب الالمان المعاصرين . وقد حاز بول في العام الماضي على جائزة مجلة « تريبون دو باري » الكبرى لروايته « عد الى منزلك يا بوغنر » . وفي الشهر الماضي نالت روايته الجديدة « اولاد الموتى » جائزة « احسن كتاب اجنبي » في باريس ، وعنوان هذه الرواية بالالمانية هو Haus Ohne Hüter الذي يعني بيتاً محروماً من حارسه الطبيعي ، او عائلة مات ولي امرها .

وبطلا هذه الرواية هما صبيان في الحادية عشرة من عمرهما يريدان ان

النشاط الثقافي في الغرب

يعرفا المصير الذي آل اليه والدهما ، ولا يكتفيان بالنظر الى صورتيهما . واحد هذين الوالدين شاعر كان جندياً في الصف الاول ، وقد قتل في اوكرانيا ، والثاني ملازم احترق في سيارته المصفحة في روسيا . والمؤلف يصور في هذه الرواية الاحداث المشؤومة التي مرت على اسرتي هذين الصبيين تصويراً بارعاً مثيراً ، ويرسم لوحة عميقة من مأساة الايتام في عالم مليء بالقيم الزائفة .

الولايات المتحدة

وفاة الشاعر ستيفنز

توفي في اوائل الشهر الماضي في هارتفورت (كونيكتيكوت) الشاعر الكبير والاس ستيفنز الذي حاز في هذا العام على جائزة بوليتزر الكبرى للشعر . وقد ناهز الخامسه والسبعين من عمره .

والاس ستيفنس

ومن المعروف ان ستيفنز كان عضواً في المعهد الاميركي للفنون والاداب كما كان يحمل لقب دكتور فخري من جامعات عديدة وعلى رأسها جامعتا هافارد وكولومبيا .

وقد صدرت لستيفنز قبيل وفاته مجموعة كاملة لاشعاره بعنوان : The Collected poems of Wallace Stevens تضم جميع ما سبق ان نشره في مجموعات متفرقة بالاضافة الى مختارات من القصائد الجديدة بعنوان « الصخر » The rock . واقل مايقال عن هذا الكتاب انه معرض للروائع الارضية التي عبر الشاعر عنها بالوان غنية من الاستعارات الدقيقة تسحر كل من اوتي عيناً تتذوق اللون ، واذناً تتذوق اللحن . واذا اعتبرنا هذه المجموعة في اعلى مظاهرها ، استطعنا ان نقول انها « رسالة كتبت في اطار من اللذائذ » ودفاع عن الخيال المعزي والنزعة الانسانية الصافية .

« الحادثة المسرحية »

من أهم الكتب النقدية التي صدرت في الاشهر الاخيرة ، كتاب « الحادثة المسرحية » The dramatic event من تأليف اريك بانتلاي Eric Bentley الذي اعطى المسرح الاميركي كثيراً . فهو مخرج ناجح ، وناقد عميق ، واستاذ قدير في الادب المسرحي ؛ وهو قد كرس جهوده لتحليل القوى التي قام عليها المسرح المعاصر . ويعد كتابه « برنارد شو » مثلاً نموذجياً للتحليل النقدي . وحين التحق بانتلاي عام ١٩٥٢ بجريدة « نيو رابيبلك » كناقد مسرحي ، بدأ يتابع نشاط المسارح يوماً فيوماً ، ولم يلبث ان احتل المركز الاول في هذا الميدان . وهذا الكتاب الجديد مجموعة من مقالاته درس فيها ستين مسرحية جديدة اكثرها عرض في برودواي . وتمتاز هذه المقالات بايجازها وعمقها وروحها الفكاهية ، ويتعلم القارىء منها اشياء كثيرة ، وهي تعد خير ما عرفته الولايات المتحدة من نقد مسرحي ، بعد تخلي « ستارك يونغ » Stark Young عن النقد المسرحي . ويتمتع بانتلاي بمعرفة واسعة لقضايا المسرح تمكنه من ان يضفي على مقالاته نور المنظورات التاريخية و تحل هذه المقالات محلاً هاماً في تأريخ النقد الحديث .

« طبيعة الثقافة »

صدرت في الآونة الاخيرة دراسة هامة جداً نشرتها مجلة New Mexico Quarterly بعنوان « بعض مظاهر طبيعة الثقافة » ، كتبها لسلي سبيار Leslie Spier ، وهو يعطي فيها عدة تفريعات للثقافة ، ويرى فيها « امتداداً لقدرات الجسد » او « نوعاً من آلية توضّع الجسم في اتصالاته بالعالم الخارجي » . وهو يصور الثقافة ايضاً بأنها « القدرات الطبيعية التي يقولبها المجتمع » . ويدرس صاحب هذا البحث الانثروبولوجي الهام مسائل معقدة كالعلاقات بين الاستعداد الثقافي والتكوين الوراثي ، والتقليد ، والترديد ، وظهور « النماذج » والطبيعة التي تتحول دائماً الى ثقافة ، والعلاقات بين الفرد والجماعة . وينتهي سبيار الى القول « ان من غير المعقول ان نجهل طابع الفرد ، ولكننا لا نستطيع ان ننسى كذلك الاشكال التي تكسبها الثقافة لطبائعنا » .

كتب جديدة

● اصدر الموسيقي المشهور لويس ارمسترونغ L. Armstrong كتاباً بعنوان : Satchmo ضمنه سيرة حياته وتنقلاته واستقراره في نيويورك . ولهجة الكتاب تتكشف احياناً عن نزعة غنائية شعبية وتتحدث عن حياة الزنوج الفقراء في جنوبي الولايات المتحدة في اوائل هذا القرن . وهذه من أجمل الصور التي رسمت للزنوج .

● صدرت للشاعر المعروف كامنغز Cummings مجموعة كبيرة من شعره الذي نظمه بين ١٩٢٣ و ١٩٥٤ ، والذي لعب اكبر دور في تطور الشعر الاميركي الحديث .

● نشرت دار « فولي » مجموعة بعنوان « احسن القصص الاميركية القصيرة » The Best American Short Stories تضم اربعاً وعشرين اقصوصة اختارتها من ثلاث وعشرين مجلة اميركية . ومن الممكن ان تكون هذه حقاً احسن قصص اميركية صدرت في العام الماضي ، والعكس ممكن ايضاً ولكن هذه المجموعة تقدم على كل حال صوراً مختلفة للمواهب الاميركية التي تعالج هذا اللون من الادب القصصي .

● من الكتب الفنية الهامة التي صدرت اخيراً كتاب اندرو بول اوشنكو A. P. Ushenko بعنوان Dynamics of Art وهو يعد مساهمة كبرى في تعريف فلسفة التكنيك الفني .

فرنسا

حرية الروائي تجاه ابطاله

كثيراً ما يرسل القراء الى الروائيين رسائل يسألونهم فيها بعض التوضيحات والمعلومات عن تصرفات ابطال رواياتهم : أهم حقيقيون ام خياليون ؟ ولماذا سلكوا هذا المسلك ولم يسلكوا ذاك ؟ وهل استمد الروائي ابطاله من تجربته الخاصة ام من احلامه ؟

اسئلة كثيرة يواجهها كل روائي وكل قصاص ... وقد أحب الروائي الفرنسي المعروف جول روي J. Roy ان يتحدث في هذا الموضوع ويتناول قضية حرية الروائي تجاه ابطاله ، فكتب مقالاً هاماً بعنوان « ايتها الحرية العزيزة » قال فيه ما ملخصه * :

سواء كان ابطال الروائي حقيقيين ام خياليين ، فهو يتخذهم مترجمين عن افكاره، ولو كانوا من جنس آخر غير جنسه. وكيف لا يستجيب الروائي، هو الذي يخفي وجهه تحت مئة قناع ، لاغراء استعمال الطريقة البسيطة التي تمكنه من انطلاق كل صوت يهمس في صوره . وحتى حين يبدو شخص ما من الاشخاص الروائيين مغايراً في طبيعته للمؤلف ؟ فمن الذي لا يشك في ان المؤلف انما لبس هذا القناع حتى لا يشي بحقيقته ولا يعطي نفسه الوسيلة للتعبير عما كان بوسعه ان يكونه ؟ إن سر الخلق كامن في هذه العملية المقنعة . واول شرط مطلوب الروائي هو ان يكون معقداً ، وهذا هو شأن كل فنان ، لأن التنوع ينشأ عن تعدد الوجوه ، والقدرة تصدر عن مدى الحساسية . فلئن لم تكن مدام بوفاري هي نفسها فلوبير ، فمن تراها تكون ؟ اتكون مدام بوفاري هي نفسها ؟ انها في الحق لم توجد الا لان فلوبير قد وجد نفسه في وضع كان يستطيع فيه ان يسند اليها دوراً هاماً.

ولماذا يريدون ، بعد ، ان يقصروا كاتباً على كتاب واحد ، او على فئة واحدة من الكتب ؟ ليس من غرابة اطلاقاً في ان يتخلى كاتب عن جوه المعروف ليتحدث عن جو آخر غير معروف . ان قيمة رسام من الرسامين تكمن في الطريقة التي يرسم بها اكثر من كمونها في الموضوعات التي يرسمها . وتعساً لمن يعرف ان يجد نفسه بجد، لان في ذلك حداً لموهبته. القضية إذن هي ان يهزأ المؤلف بالمواضعات وان يسد سمعه دون الثرثرة التي ترافق نشر كتاب من كتبه ، ليهتم فقط بما له قيمة من النقد . يقول غايتان بيكون في كتابه «الكاتب وظله» : «إن الكاتب لا يكتب لينشر، وانما ليقتطع من نفسه شيئاً . وهو لا يستطيع ان يفعل ذلك ، إلا بان يسلب نفسه لصالح الآخرين» ان الكاتب قد اعطى نفسه في كل من هذه الكائنات التي خلقها بقدر متفاوت من الكرم والنور . وعلى القارىء ان يكتشف سر هذا التقمص.»

* راجع مجلة « الانباء الادبية » تاريخ ٤ آب الماضي .

اشتات ادبية

● « البلدة التي لا تبلغ ابداً » Le pays où l'on n'arrive jamais رواية رائعة اصدرها اخيراً القصاص المعروف اندريه دوتيل A. Dhôtel تصور مغامرات طفلة فقدت في اثناء الحرب آثار البلدة التي كانت تعيش فيها مع امها ، فاخذت تبحث عنها في سلسلة من المغامرات ، يرافقها فتى مثلها صغير على طريق البحث واستعادة احلام الطفولة .

● « أسهم نارية في زنجبار » Feux d'artifice à Zanzibar للروائي الشهير بيار بنوا P. Benoit ، وهي تصور حياة يتيمة كانت تعيش في زنجبار ، وتعرف انها ثمرة اغتصاب السلطان لأمها ، فهي تريد ان تنتقم ، وتحاول ان تقذف على السلطان قنبلة في احدى الحفلات ولكنها تحب ابنه ويتزوجان. والرواية طريفة ومسلية .

● كتبت سيمون دو بوفوار في العدد الاخير من « الازمنة الحديثة » مقالاً تهاجم فيه مهاجمة عنيفة مرلو بونتي بسبب كتابه « مغامرات الديالكتية » وتدافع عن سارتر وتحوله الى اليسارية الشيوعية المتطرفة .

● صدر في آخر الشهر الماضي قرار حكومي بتخفيض التعرفة البريدية للكتب الفرنسية المصدرة الى الخارج بنسبة ٥٠ بالمئة . والمنتظر ان يؤثر هذا القرار تأثيراً حسناً على الكتب الفرنسية التي تباع في الخارج باسعار فاحشة بسبب ارتفاع التعرفة البريدية .

● «التقدم التكنيكي والشخصية البشرية» Le progrès technique et la personnalité humaine كتاب هام من تأليف اميل جيراردو E. Girardeau يتحدث فيه عن الروابط بين التكنيك والثقافة. وقد قدم له اندريه سيغفريد ولخص الموضوع بهذا التساؤل : « ما عساها تكون قيمة التقدم المادي الرائع اذا وجب دفع ثمنه تضحية الفرد ؟ »

اريد ايضاً عدة غرف لأشخاص الرواية التي اؤلفها الآن !